## PORTRAIT DE L'ARTISTE

HENRI EL KAYEM

# صورة الفنان

هو ذا ، على يمين جماعةٍ فى السامر مقبلين على سَمَرهم ، قصيرُ القامة رَبْعةٌ ، متشبثٌ بغليونه كما تعلق المنظر الطبيعى بِمَركب ، ضاحكُ السنّ ، لأن الضحك يشتمل أيضاً على اليأس .

✲

وهو صامتٌ طويل الصمت ، متطلعٌ إلى معرفة السرّ فى صمتك . قد أجمع العزمَ على مَضَض أن يكون فى جملةِ الزمرة ، ولكنه مع ذلك متحاملٌ على نفسه لكى يقترب من نفسك من حيث لا تشعر .

وهو أحياناً يتكلم ، ولكنه سرعان ما يذكر أن الكلام هو الطريق الأعظم للخيال ، وأنه فى الاستطاعة أن يقصّ على سامعه المُجامل الهُواتى حكايةً لا آخر لها ، وأن الحكاية إذا انبسط حبلها كانت حبلَ بهلوان ناهيكَ به من حبل . فاذا هوى إلى الواقع اقترن ذلك منه بضحكةٍ مكتتمَةٍ مقتضَبة .

✲

ثم هذا هو كذلك ، فيما وراء ذلك . ظاهرُ الاذعان والتسليم ، أمامَ لوحة تصوير ، يُشهدكَ على ما فى هذه المهمّة من العُسر والمشقة ، ويسألكَ — وإنما نفسَه يسأل قبل سواها — ألمْ يكن من الأحجى والأرشد لو اتجه غير هذه الوجهة ونهَجَ غير هذا النهج . وينظر البعضُ إلى هذا الاتضاع على أنه كبرياء . ألا حيُّوا هذه الكبرياء التى تبسط يدها وتتصدق عليكم بدينار من الذهب النضار .

✲

انحدر مُنْسَلِتاً من جبال المناطق الحارة ، جارياً حول تقاطيع جسم الأرض وأعطافها ، مزمجراً عند مساقط الشلالات ، هامساً بين أوراق الشجر معانقاً للبساتين ، معتدًّا بقوته ، حاملاً رسائل من بعيدٍ يؤديها للفلاح ، ويؤديها كذلك إلى عاشق الأحلام . ذلك هو النهر .

✲

إنها هنا ، فى كل مرحلةٍ من مراحل تطوّره ، كأنّ شيئاً لا يمكن الابتداء به من غيرها . وجهٌ وسيمٌ كان من حظ الرسام ، ليكون له معدنَ صفاء فى أيام الشقاء .

وما أعرف شيئاً له من الروعة فى حياة الإنسان ما لوجود الطفلة ، لا شئ أعجب منها ، هنا فى أوحال أنوائنا ، وألوان المواثيق المختلفة فى أقواس سمائنا . فى قربها تنمحى كهولتنا ، لأن شبابها الناعم بمحض وجوده يكفل للزمن نظاماً عَجَباً .

✲

فى معرض عرضتْ فيه تصاوير للأطفال ، استجمع الفنان قصةَ حياته مجملةً ، ضاحكًا من عبثهم بالمنظور ، متعجباً من أنه ما برح شديدَ القرب من دهشتهم الحائرة .

✲

فى الصيف ، استولت على الرياض فترة . وعانت زرقةُ السماء كل أنواع العَنَت ، وهذه سكينة الظهيرة كلالٌ و إعياء . و إذا كان الفنان راقداً فى غرفته فى الطابق الأول ، فان أحلامه ماضيةٌ به إلى منظر الطبيعة منذ الماضى القديم السحيق : امرأةٌ منصوبةُ القامة واقفةٌ ، وصدرها مشرئبٌّ فى مهابّ الريح ، فخورٌ بأنها المرضع الرءوم لهذه الأرض .

هنرى الفيم

نقلها عن الفرنسية عبد الرحمن صدقى